

ولا يفلح الساحر حيث أتى

تاريخ الإضافة: الثلاثاء، 21/03/2023 - 13:11

الشيخ:

د. هشام بن خليل الحوسني

القسم:

العقيدة والمنهج

الشرك وأنواعه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ثم أما بعد؛

فقد قال الله سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث القدسي: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»^[1]، فلذلك معاشر الفضلاء، أرسل الله سبحانه وتعالى على عباده الرسل وأنزل عليهم الكتب ليبينوا للناس طريق الخير وطريق الحق من طريق الضلال وطريق الغواية والفساد، ويخرجوهم من الظلمات إلى النور كما قال سبحانه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء ١٦٥]، فأرسل الله سبحانه وتعالى هؤلاء الرسل بالبينات والزبر وبالكتاب المنير الذي يبين لهم طريق الخير والفلاح من طريق الشر والضلال، وأرسل سبحانه وتعالى هؤلاء الرسل بالبينات الواضحات الصريحة التي تبين للناس طريقهم، وتزيل عنهم الغشاوة وتدهم على سواء الصراط، كما قال النبي صلى الله

عليه وسلم: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ» [2] ، فما من نبي أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قوم من الأقوام إلا وأيده الله سبحانه وتعالى بالمعجزات الباهرات التي تدل على صدقه وصدق رسالته التي أرسل بها والتي هي من عند الله سبحانه وتعالى، وأنه مرسل من رب العالمين سبحانه وتعالى، فأيد الله عز وجل رسله بالآيات المعجزات والبيّنات الواضحات التي تكون دليلاً على صدق رسالة هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمثلاً في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام حينما انتشر الطب وبرع الناس فيه أيد الله سبحانه وتعالى هذا النبي الكريم عيسى عليه الصلاة والسلام بما يعجز عنه هؤلاء الناس من أمور في الطب يعجزون عنها، فكان عليه الصلاة والسلام يبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، بل وكان مما سخر الله سبحانه وتعالى وأيده به أن كان يحيي الموتى بإذن الله عز وجل، ففي هذا تأييد من الله عز وجل لهذا النبي الكريم ليبين لهم صدق رسالته وأن هذا الذي أتى به إنما هو من عند الله سبحانه وتعالى، وهكذا في زمن موسى عليه الصلاة والسلام فيما قبل ذلك حينما أرسله الله سبحانه وتعالى إلى فرعون وقومه، وكان في ذاك الزمان قد انتشر بين الناس السحر وبرزوا في هذا الجانب، وبرعوا في هذا الجانب في جانب السحر، وخاضوا في جانب الباطل، وارتكبوا ما ارتكبوا من هذه الأمور التي فيها إيذاء وفيها ما فيها مما يغضب الله سبحانه وتعالى، ومما يكون فيه من الشرك والضلال والبعد عن دين الله عز وجل، فأرسل الله سبحانه وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الناس لفرعون وقومه وأيد الله سبحانه وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام بالمعجزات التي تدل على صدق رسالته، فكان عليه الصلاة والسلام إذا ألقى عصاه كانت حية تسعى، ثم إذا أخذها بيده عادت مرة أخرى عصاً كما كانت في يده، وهكذا كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء من غير سوء أي من غير مرض أو من غير عيب ونحو ذلك، فأيده الله سبحانه وتعالى بهذه المعجزات التي تدل على صدق رسالته، ولذلك لما رأى فرعون هاتين الآيتين عاند واستكبر وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٠٩﴾ [الأعراف ١٠٩ - ١١٠] ، فهذه الأمور التي

أرسلها الله سبحانه وتعالى أرسل بها الرسل وأيدهم بها من هذه المعجزات التي تدل على صدق رسالتهم كانت مما كان قد حصل في تلك الأزمنة ما حصل في زمن موسى عليه الصلاة والسلام من رده على هؤلاء السحرة، وبيانه لضعفهم وعجزهم وحرى بنا معاصر الفضلاء أن نقف مع هذه الآيات في هذه الليلة لتعلم شيئاً مما جاء في هذه الأمور وفي هذه المسائل التي قد دخل فيها بعض الناس بل وضعف جانب الدين عند كثير من الناس في القراءة أو في الاطلاع أو في الوقوف على شيء من هذه الأمور التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها بل وحذر منها الكتاب الكريم وحذر منها نبينا صلى الله عليه وسلم، فحرى بنا أن نقف في هذه الليلة مع قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه ٦٩] نقف مع هذه الآية وقفات نتبين من خلالها ما كان في هذه الآية من خلال سياقها وما حصل في تلك الآيات المعجزات التي أيد الله بها موسى عليه الصلاة والسلام لنقف ونتبين شيئاً من هذه الدلالات التي دل عليها كتابنا الكريم لا سيما وهي مسألة خطيرة مسألة السحر، وما يكون فيها من شرك بالله سبحانه وتعالى ومن مناقضة ومضادة لدين الله وتوحيد الله عز وجل الأمر الذي يكون فيه خروج الإنسان من ملة الإسلام، أو يكون فيه ما يكون من خدش لجانب التوحيد، وجناب حق الله سبحانه وتعالى، فحرى بك أيها المسلم أن تقف وقفات عند هذه الآية متأملاً ما فيها من عظات وعبر، وما فيها من جوانب يكون فيها ما يكون من توحيد لله سبحانه وتعالى، وتسليم الأمر لله عز وجل وتفويضه إليه عز وجل، وبيان حقيقة السحر وما يكون عليه حال هذا الساحر الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه ٦٩] فنقف معاصر الفضلاء هذه الوقفات متأملين متدبرين لشيء مما جاء في كتاب الله، هذا الكتاب الكريم الذي يهدينا سواء الصراط، ويهدينا الطريق الأقوم ويهدينا لما فيه الخير والصلاح والفلاح لنا ويهدينا لما فيه حياة هذا القلب لا سيما من ابتلي بشيء من هذه الأعراض، أو ابتلي بشيء من هذه الأمراض، أو ابتلي بشيء من هذه الابتلاءات، فحرى به أن يقف هذه الوقفة متأملاً مستذكراً شيئاً مما جاء في هذه الآيات ليتقوى بها جانب إيمانه ويتقوى بها جانب توحيده، وليعلم أن الأمور مردها إلى الله عز وجل لا إلى هؤلاء العاجزين

الذين يزعمون ما يزعمون من قوة ومن غير ذلك مما يزعمونه، فقف أيها المسلم وقفي أيها المسلمة مع هذه الآيات متأملين ما فيها مما دل عليه هذا الشرع المطهر من هذه الجوانب العظيمة، فهلم بنا لنقرأ ونستذكر شيئاً مما جاء في سياق هذه الآيات التي جاءت في قصة موسى عليه الصلاة والسلام.

كان مما جاء في هذه القصة التي كانت بين موسى وفرعون الطاغية الذي بين الله سبحانه وتعالى عناده واستكباره، وكيف أن هؤلاء الرسل موسى عليه الصلاة والسلام ومعه هارون عليه الصلاة والسلام كيف أنهما ترفقا به وقالوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى، لكنه عاند واستكبر وعصى ونال ما نال من عذاب الله سبحانه وتعالى فيما بعد ذلك، فالله سبحانه قد بين في كتابه فقال: ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [طه ٥٦]، أي أنه قد تبينت له الآيات وتبين له الحق من الباطل لكنه كذب وعاند وأبى واستكبر فكان مما قاله لموسى عليه الصلاة والسلام حينما عجز عن الرد عليه وعجز عن أن يثبت أن ما جاء به موسى باطل قال هذه المقالة التي فيها من التعالي وفيها من العلو وإرادة الاستكبار والعلو في هذه الأرض بغيا وعدوا، ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ﴾ [طه ٥٧] فقال لموسى عليه الصلاة والسلام هذه المقالة الباطلة الجائرة: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ﴾ [طه ٥٧] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَىٰ﴾ [طه ٥٧ ٥٨] أي: اجعل لنا موعداً نتفق فيه ونأتي لنري الناس ما أنت عليه من باطل، وحاشا هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن يكون ما أتى به باطلاً، بل هو من عند الله سبحانه وتعالى ولكن فرعون تكبر واستكبر وعاند وافترى على الله عز وجل هذه الفرية، وهو أن ما جاء به موسى إنما هو سحر، وأن ما جاء به موسى باطل وسيثبت للناس أن هذا هو الأمر الباطل، فاتفق مع موسى عليه والسلام أن يأتي الناس إلى مكان مستو يظهر فيه المكان لجميع الناس يتأملون وينظرون، ويتقربون ما يكون فيه بطلان قول موسى عليه الصلاة والسلام وحاشاه عليه الصلاة والسلام ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ الْنَّاسُ ضِحْكًا﴾ [طه ٥٩] فقال موسى عليه الصلاة والسلام راداً عليه: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ [طه ٥٩] أي: في يوم العيد الذي

يجتمع فيه الناس ويكون فيه أعداد الناس تكون فيه أعداد الناس كثيرة، يحضرون ويجتمعون ويكون ذلك في وقت الضحى، وهذا إشارة إلى أن الساحر إنما يضعف أثره في وقت النهار، والسحرة عادة إنما يقومون بأعمالهم في وقت الظلمة أو في مكان الظلمة أو في وقت الليل لاشتداد قوتهم في ذلك الوقت، وانتشار الشياطين في ذاك الوقت، فلذلك قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه ٥٩] أي: في وقت لا تقوى فيه شوكتهم بل يكون فيه ضعفهم وهذا فيه إشارة إلى أن وقت النهار إنما هو وقت ضعف السحر والسحرة قال: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه ٦٠] نادى فرعون في قومه وأمر بجمع كل سحر عليم، أي: أمهر السحرة، فتجمع له من السحرة في ذاك اليوم العدد الكبير بالآلاف كما ذكر أهل التفسير، جمع في ذلك اليوم العدد الضخم الكبير من هؤلاء السحرة ليتفقوا ويعزموا أمرهم على هزيمة موسى عليه الصلاة والسلام، ويكون منهم ما يكون من إظهار من إظهار قوة فرعون وقومه ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه ٦٠] قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا [طه ٦٠]

[٦١] ، وهذا كعادة أهل الخير والصلاح وأهل التقوى وأهل الخير والفلاح، أنهم يعظون الناس ويذكرونهم بالله سبحانه وتعالى، يذكرونهم بالأمر الذي خلقوا لأجله أي أنك خلقت أيها الإنسان، مهما كبرت ومهما استعلت على أوامر الله عز وجل تذكر أن الله سبحانه وتعالى مطلع عليك، وأن الله سبحانه وتعالى قد أحاط بما تقوم به علماء، وأحاط بك سبحانه وتعالى قوة، وأحاط الله عز وجل بك ما يكون فيه عجز وإظهار لمدى بغيك وعدوانك وضعفك، فاتق الله ولا تبحث عما فيه سخط الله سبحانه وتعالى ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [طه ٦١] اتقوا هذا الكذب واتقوا عصيان أوامر الله سبحانه وتعالى والاستمرار في هذا الافتراء، والاستمرار في طريق الباطل وطريق الكذب وطريق الفساد ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ [طه ٦١] فبين لهم موسى عليه الصلاة والسلام بهذه الموعظة البليغة ما يكون فيه صلاح أحوالهم، والبعد عما فيه غضب الله سبحانه وتعالى قال: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ [طه ٦١] أي: يصيبكم الله سبحانه وتعالى

ويشملكم بعذاب من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه ٦١] أي: أنكم تزعمون أن هذا الطريق الذي تسعون فيه إنما هو طريق الفلاح والصلاح، وهو طريق الخيبة والخسران وقد خاب من افترى، فحذرهم هذا النبي الكريم وهذا الرسول المرسل من عند الله سبحانه وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام أن طريقهم هذا طريق الخيبة وطريق الفرية وطريق الباطل، فاتقوا الله ولا تفتروا على الله كذبا، فقالوا وتحدث بعضهم فيما بينهم وبين البعض مع أنه قد أثر الكلام في بعضهم إلا أن البعض منهم أراد أن لا يظهر هذا الجانب جانب الضعف في بعض السحرة وجانب الاستجابة من بعض السحرة لكلمة موسى وموعظة موسى عليه الصلاة والسلام، فحاولوا أن يجمعوا أمرهم فقالوا: ﴿أَجِثْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى﴾ [طه ٥٧] فردوا على موسى عليه الصلاة والسلام بهذا الرد، وهو أن هذا الذي جئت به إنما هو ماذا؟ إنما هو سحر فلذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ [طه ٦٢] أي: أنهم تحدثوا فيما بينهم وأجمعوا أمرهم على ألا يظهرُوا جانب الضعف الذي ظهر في بعض هؤلاء السحرة، وفيه ما فيه من نوع من الاستجابة لكلام موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [طه ٦٣] أي: أن هذا الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام إنما هو سحر وسنتصدى لهذا السحر ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه ٦٤] فاتفقوا على أن يجمعوا أمرهم، وتكون مواقفهم موقفاً موحداً ليهزموا موسى عليه الصلاة والسلام في ذلك اليوم، وفي ذلك الموقف الصعب وفي ذلك اليوم الذي تجمع فيه الناس ضحى قالوا: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه ٦٤] أي: أن من أراد الفلاح فهو الذي سيسلك مسلكهم هم هذا المسلك الذي هم عليه؛ لأن هذا المسلك هو مسلك ماذا؟ المسلك الذي فيه الفلاح على حد زعمهم ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه ٦٤] يعني أن من سلك هذا المسلك وهو الذي عليه فرعون وقومه قد ماذا؟ قد أفلح ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه ٦٥]، فخيروا موسى عليه الصلاة والسلام بين أن يلقيهم بما في أيديهم من العصي ومن هذه الأمور التي معهم وهذه الحبال التي معهم، أو

أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام هو المبادر في الإلقاء ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه ٦٦] أي: أنه من شدة سحرهم وقوة سحرهم يخيلون إلى الناس أن هذه العصي وهذه الحبال إنما هي حيات تسعى، وهذا فيه إشارة إلى نوع من أنواع السحر وهو ما يكون من سحر فيه التخييل في أعين الناس وفيه التخييل لأعين الناس أن هذه الحبال أو هذه العصي إنما هي حيات، وهذا نوع من أنواع السحر، ومن أنواع السحر كذلك كما ذكر العلم ما يكون من الصرف والعطف، أي: ما فيه جلب لقلب المحبوب إلى حبيبه أو فيه التفريق بين الرجل وزوجته وفيه ما فيه من الصرف أو العطف، وهذا نوع آخر من أنواع السحر، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه ٦٦ ٦٧] أي: أن موسى عليه الصلاة والسلام خاف في بداية الأمر وهذا أمر طبيعي، وهو كما يقال عند أهل العلم من الخوف الطبيعي ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه ٦٦ ٦٧] أي: أن الخوف الطبيعي ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه ٦٨]، هكذا معاشر الفضلاء حينما يتذكر هذا المسلم حينما يتذكر المسلم والمسلمة هذه الآيات وكيف أن المسلم قد يصاب بشيء من الخوف من هؤلاء الضعفاء العاجزين من هؤلاء السحرة الماكرين، حينما يوجس المسلم في نفسه خيفة يتذكر قول الله سبحانه وتعالى لهذا النبي الكريم: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه ٦٨] أي: أن ما عندك من الحجة وما عندك من الإيمان والصدق بالحق والقوة والثقة بالله سبحانه وتعالى إنما هو أعظم مما جاءوا به، وما عندك من قوة اليقين والتوكل على الله سبحانه وتعالى أعظم وأكبر وأعلى مما يأتي به هؤلاء المبطلين، فاعتمد على الله عز وجل وكن متيقنا مستوثقا بالله سبحانه وتعالى صاحب يقين وإيمان وتصديق لما جاء به ربك سبحانه وتعالى، وما جعله في قلبك من هذه الجوانب الإيمانية التي تجعلك أنت الأعلى وأنت الأقوى وأنت صاحب الحجة الأعلى ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه ٦٨] وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه ٦٨ ٦٩] أمره الله سبحانه وتعالى أن يلقي هذه العصا التي بيمينه ﴿وَأَلْقِ مَا فِي

يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا ^{طه} فألقاها عليه الصلاة والسلام، واستجاب لأمر الله سبحانه وتعالى، ولما رأى السحرة هذا الأمر وهي أن هذه العصا التي ألقاها موسى عليه الصلاة والسلام أكلت حبالهم وعصيهم، وهي حية حقيقية لا حية كما كانوا يخيلون إلى الناس من أفعالهم آمنوا وعرفوا أن هذا الذي قام به عليه الصلاة والسلام ليس من عنده إنما هو من عند الله سبحانه وتعالى **﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا** ^{طه} **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٍ﴾** [طه ٦٩] أي: هذا الذي جاءوا به إنما هو من مكائد السحرة ومن مكائد المبطلين، ومن مكائد الشيطان ومن مكائد العاجزين الذين لا يصلون، ولا يساوون ما يكون من رب العالمين، ولا يقارن هذا بذاك، فشتان بين ما يأتي به هؤلاء السحرة الكاذبين، وبين ما يكون من رب العالمين سبحانه وتعالى الذي يكون معه الحق ومعه النور ومعه تلك الحجة البالغة **﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا** ^{طه} **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾** [طه ٦٩]..

تأملوا معاشر الفضلاء، تأملوا هذه الكلمات التي هي موجزة في عباراتها، موجزة في أحرفها لكنها عظيمة المعنى في دلالتها، وفيما قد دلت عليه هذه الكلمات اليسيرات دلت على معان عظيمة دلت على معان كبيرة **﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾** [٦٩] نفى الله سبحانه وتعالى الفلاح عن هذا الساحر حيثما كان وفي أي زمان كان وفي أي مكان كان **﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾** [٦٩] مهما كان سحره سواء كان سحر تخيل أو سحر صرف أو سحر عطف، أو كان غير ذلك فلا يفلح هذا الساحر، ونفي الفلاح أي أنه نفي لكل خير وكل صلاح وكل منفعة تحصل من هذا الساحر، فهو منفي عنه هذا الفلاح وهذا الخير وهذه المنفعة، فلا يفلح هذا الساحر، وهذه الكلمة إنما هي من ربك أيها المسلم، وهذه الكلمة إنما هي من ربك أيها المسلمة فتأملوا فيها، ولا يكن الواحد منا ضعيف القلب خائفا من هؤلاء العاجزين من هؤلاء المبطلين، بل يتذكروا قول الله سبحانه وتعالى: **﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾** [٦٩] لا يفلح مهما كان، نفى الله عز وجل عنه لهذا الفلاح هو نفي مؤكد من رب العالمين سبحانه وتعالى، فلا تحف ولا تحزن ولا يصيبك مكروه ولا يصيبك قلق ونحو ذلك من الأمور التي تصيب نفس المسلم يخاف ويفزع من كيد ساحر **﴿وَلَا يُفْلِحُ**

السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ نفى من رب العالمين لهذا الفلاح، بل إثبات للخيبة والخسارة في صنع هذا الساحر وفي كيد هذا الساحر وفي كيد هؤلاء الشياطين، فالله سبحانه وتعالى قد نفى عنه هذا الفلاح، وأثبت له الخسارة والخيبة في جميع أموره وفي جميع أسحاره أينما كان وفي أي زمان كان، وفي هذا النفي فيه إثبات لبطلان ما يسمى عند الناس بالنشرة، وهو حل السحر بالسحر، البعض من الناس ينخدع بعبارات رنانة وبعبارات قد يكون من من بعض الناس فيها تزيين لهذه الكلمة، وهي أنك لا تريد بهذا السحر لا تريد به إيذاء الناس لكننا تريد به حل السحر عنك، أو حل السحر عن فلان وفلان، وهذا من تلبيس إبليس على بعض البشر، فالله سبحانه حينما ينفي الفلاح عن هذا الساحر ينفي الفلاح عنه بأي طريقة كانت، وبأي وسيلة كانت فهو معدوم الفلاح، بعيد عن جلب المنفعة لك، بعيد عن جلب الخير لك، نفى الله سبحانه وتعالى عنه هذا الفلاح، ولا يفلح هذا الساحر مهما كان سحره من أنواع السحر لإيذاء شخص لفك سحر عن شخص لكذا أو كذا، فالله سبحانه وتعالى قد أثبت له عدم الفلاح، فإذا كان هذا الساحر منفي عنه هذا الفلاح، فمن يذهب إليه ومن يأتي إليه فهو كذلك منفي عنه هذا الفلاح الذي يسعى إليه، لذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» [3]. وجاء في حديث آخر: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» [4].

فعلى المسلم أن يتأمل هذه النصوص، ويتأمل هذه الآيات العظيمة وهذه الكلمات التي ينبغي على المسلم أن يتأمل فيها، وأن يتعظ بها وبما دلت عليه، وألا يغتر بكلام البعض ممن يزين شيئا من الباطل، ويبين أن السحر منه ما هو لفك السحر عن المسحور وإزالة الأذى عنه أنه لا بأس به يقال له ولا يفلح الساحر حيث أتى، فهذا النفي من رب العالمين سبحانه وتعالى فيه من بيان بطلان فعل الساحر، وأنه في خيبة وخسارة وعدم فلاح في أي زمان وفي أي مكان وفي أي نوع من أنواع السحر، وبأي نوع من أنواع السحر قام به، فهو منفي عنه الفلاح والنفع والخير والمصلحة لمن يأتي لهذا الساحر، وكذلك نفى الفلاح ونفي الخير والمنفعة

كذلك عن من يأتي إليه طالبا منه هذه المنفعة، فحري بالمسلم أن يكون متأنيا في هذه الأمور التي فيها خدش للتوحيد بل قد تكون ناقضا من نواقض توحيده وإيمانه، فليحذر أشد الحذر من الانخداع والاغترار بهذه الأمور التي فيها إيمان وفيها شرك وكفر بالله سبحانه وتعالى، فالله عز وجل قد قال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [٦٩]، فلما رأى هؤلاء السحرة هذا الأمر، وأن هذا الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام إنما هو من عند الله سبحانه وتعالى وليس صنع بشر ولا صنع ساحر ماذا فعلوا؟ ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [٧٠ طه] فلما رأوا هذا الأمر عرفوا بطلان فعلهم، وعرفوا خسارة ما قاموا به وما كانوا عليه من أمور باطلة، وأن الكلمة التي قد قالوها قبل ذلك: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [٦٤ طه] كانت كلمة باطلة لأن الفلاح لا يكون إلا ممن تعلق بالله، وممن كان مع الله وممن جاء بما أمر به الله عز وجل، فهذا الذي يستحق الفلاح، وأما من تعلق بالكفر والشرك بالله وتعلق بالشياطين وتعلق بالسحرة وتعلق بما فيه باطل فهو إنما معه من الخيبة والخسران ما معه، فلذلك عرفوا بطلان قولهم: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [٦٤ طه] وأن الكلمة الحق هي أنه كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [٦٩]، فعلى المسلم أن يتأمل في هذه الآية لتعطيه الثقة والطمأنينة بالله سبحانه وتعالى، وأن الفلاح والصلاح والمنفعة والخير إنما هي في تعلقك بالله عز وجل، كما حصل مع موسى لما كاده هؤلاء كلهم ما نفعهم كيدهم، ونصر الله عز وجل عبده موسى عليه الصلاة والسلام، وأيده بهذه المعجزة وأيده بهذا الفلاح وأيده بهذا الخير وأيده بهذه النصرة، وهذا الأمر ليظهر أن ما عند الله خير وأبقى، ويظهر أن ما عند الله عز وجل هو الذي يجب عليك أيها المسلم أن تتمسك به، ولا تغتر بهذا الكيد مهما عظم شأنه، ومهما كان هذا الذي يكيدك مهما كان في قوته، وفي إظهار جبروته وفي إظهار سطوته ما كان، فلا تغتر به بل كن على يقين من ربك سبحانه وتعالى، واثقا بنصر الله مطمئن البال مستيقنا بأمر الله سبحانه وتعالى، مستيقنا بأن ما وعدك الله سبحانه وتعالى إنما هو الحق وإنما هو الفلاح.

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [٦٩] فهي كلمة عظيمة بينها الله سبحانه وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام

لبث الطمأنينة في قلبه، وإظهار أن القوة إنما هي القوة بالله، لذلك شرع لك أيها المسلم أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله لأن الحول والقوة والثقة والطمأنينة إنما تكون بالله عز وجل ومن الله سبحانه وتعالى، فلا ملجأ من الله إلا إليه سبحانه وتعالى، لذلك أمرك بالفرار إليه وبالتعلق به سبحانه وتعالى ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الدَّارِيَات ٥٠] هذا الذي يطلب من المسلم، تريد النجاة تريد الفلاح تريد الخير تريد الصلاح تريد المنفعة كن ممن يفرع إلى الله عز وجل في هذه الشدائد، كن ممن يطمئن بوعد الله عز وجل، وممن يثق بأمر الله وبكلام الله سبحانه وتعالى.

فلذلك حرّي بك أيها المسلم وحرّي بك أيتها المسلمة أن تكونوا مطمئنين واثقين من وعد الله سبحانه وتعالى، هذه الكلمة وهذه المعاني العظيمة لا يفهمها ولا يدرك حقيقتها إلا من عرف ما دلت عليه هذه الآيات، واطمأن قلبه لذكر الله عز وجل.

لذلك معاشر الأحبة ومعاشر الفضلاء يحسن بنا في معرض حديثنا عن هذه الآية أن نأتي إلى شيء مما ذكره أهل العلم في أسباب الوقاية، وأسباب البعد عن هذه الأمور التي تجعل القلب مطمئناً واثقاً من أمر الله سبحانه وتعالى، بعيداً عن الخوف من هؤلاء المبطلين السحرة الكاذبين الذين يقومون بما يقومون به إنما هو من إيذاء للناس ومن إيصال الضرر لهم، والسحر معاشر الفضلاء كما بين أهل العلم له حقيقة كما سبق أن ذكرنا.

والسحر حق وله تأثير لكن بما قدره الخبير

الله سبحانه وتعالى بين أن سحرهم قد يصيب هذا المسحور، فهذه الرقى والعقد الأمور التي يقومون بها قد يصاب بها هذا المسحور، ويصاب بها هذا الإنسان الذي أرادوا الإضرار به لكن على المسلم أن يتحصن بربه سبحانه وتعالى، يتحصن من هذه الأمور الباطلة بما دلت عليه الشريعة وما دل عليه كلام نبينا

صلى الله عليه وسلم لئلا يكون فريسة سهلة لمثل هؤلاء المبطلين، فكلما كنت قريباً من نور ربك سبحانه وتعالى أحرق هذا النور هذا الباطل الذي يأتي به هؤلاء السحرة، وكلما ابتعدت عن نور ربك سبحانه وتعالى وعن نور الوحي الذي جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلما عرضت نفسك لشيء من تسلط هؤلاء الأعداء عليك، فكن حذراً قريباً من ربك سبحانه وتعالى، ولا تسلم نفسك إليهم ببعده عن الله وبعده عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليك أن تعلم مدى فضل هذه السنة، وفضل هذا العلم وفضل هذا الكتاب العظيم وفضل هذا الوحي الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى نبيك، فضل هذه الأمور عليك، وأن فيها الخير والصلاح والفلاح لك، فعلى المسلم أن ينتبه لمثل هذه الأمور، ويتعلم الأسباب التي تقيه بإذن الله سبحانه وتعالى من هذه الشرور وهذه الآفات ومن هذا السحر ومن هذه الشياطين حتى ومن الحسد ونحو ذلك، تبعده وتقيه من هذه الشرور والآفات.

من الكلمات النافعة البديعة التي دونها أهل العلم رحمهم الله تعالى في كتبهم، وكلام أهل العلم كثير في هذا الباب، من أجمل ما كتب في هذا الشأن ما كتبه الإمام الهمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه بدائع الفوائد، فيما ذكر فيه من أسباب عشرة تقي المسلم من الوقوع في خطر هؤلاء السحرة وحتى في حسد الحاسدين ونحو ذلك من هذه الشرور وهذه الآفات، يحسن بنا أن نقف مع هذه الأسباب العشرة التي ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه بدائع الفوائد، ونستعرضها بشكل سريع حتى نتعلم وندرك أهمية هذه الأمور وهذه الأسباب العشرة التي تقي المسلم بإذن الله وبفضل من الله سبحانه وتعالى من هذه الشرور والآفات من الشياطين ومن الحاسدين ومن السحرة والكاذبين.

فنبداً بهذه الأسباب ونستعين بالله سبحانه وتعالى في ذكر هذه الأسباب بشكل موجز:

أول هذه الأسباب معاشر الأفاضل: هو التعوذ بالله سبحانه وتعالى من شر كل ساحر ومن شر كل حاسد كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق] هـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ١ مِنْ شَرِّ مَا

خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ [الفلق ١ ٤] وهم الساحرات، وهذا فيه دلالة على كثرة ما يقع هذا السحر من النساء، سواء في القديم أو في الأزمنة المعاصرة، فكثير من السحر إنما يقع من الساحرات من النساء، فلذلك على المسلمة أن تكون حذرة من هذه الأمور التي تناقض توحيدها وإيمانها بالله سبحانه وتعالى **﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝﴾** [الفلق ٤] أي: تنفث الواحد منهن في العقدة تعقدها، تعقد العقدة وتنفث فيها لتسحر بها هذا الإنسان أو هذه المرأة، وأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتعوذ من هذه الشرور، وقال سبحانه وتعالى: **﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝﴾** [فصلت ٣٦] فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالاستعاذة، فلا استعاذة تقي المسلم من هذه الشرور **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝﴾** [الفلق ١ ٢] فعلى المسلم أن يحرص على مسألة الاستعاذة، وهي الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى والتحصن بهذا الحصن العظيم وهو اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، ليقيك شر هذه الشياطين وشر هؤلاء السحرة وشر حتى الحاسد إذا حسد، فالله سبحانه وتعالى شرع لك أيها المسلم أن تستعيز بالله سبحانه وتعالى من هذه الشرور، وتلجأ إلى الله سبحانه وتعالى من هذه المكائد وهذه الأمور التي تتراد لك **﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾** [غافر ٥٦] كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم، فهذا إذا أول أمر ينبغي على المسلم أن ينتبه حتى يقيه من هذه الشرور والآفات.

السبب الثاني: تقوى الله سبحانه وتعالى وحفظ الله عز وجل في السر والعلن، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»** [5]، هذه الكلمة معاشر الفضلاء من يتأملها يدرك مدى عظيم حفظ الله عز وجل لعباده، وأن العبد كلما كان أتقى لله كلما كان الحفظ له أعظم، فمن حفظ الله سبحانه وتعالى في سره وفي علانيته حفظه الله سبحانه وتعالى من كل سوء ومن كل شر، فتقوى الله عز وجل فيها إبعاداً للمسلم عن هذه الشرور وعن هؤلاء الشياطين وسحرهم وإفكهم وما يقومون به من أعمال سيئة تؤذي به هذا المسلم، فالله سبحانه وتعالى قد شرع لك أن تتحصن بهذا الحصن وهو تقوى الله عز وجل، وحفظ الله سبحانه وتعالى كما قال النبي صلى الله عليه

وسلم: «**احفظ الله يحفظك**» يحفظك من كل شر يحفظك من كل سوء، يحفظك الله وبتقواك وبعذك عما يغضب الله سبحانه وتعالى واستجابتك لأوامر الله سبحانه وتعالى فيه إبعاد لك عن الشرور والآفات.

السبب الثالث: الصبر على عدوه، يصبر المسلم على عدوه ولا يقابله بالإساءة ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، لا يحدث هذه النفس بهذه الأذية أصلاً، فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله، ما نصر أحد كما يقول أهل العلم بمثل ماذا؟ بالصبر على عدوك والتوكل على الله، ولا تستطل هذا الأمر ولا تقل إنه قد تأخر علي الفرج، وتأخر علي العلاج، فهذا الأمر يزيدك ضعفاً بل كن واثقاً بالله صابراً على هذا العدو، فما نصرت بشيء أعظم من هذا الصبر والتوكل على الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى قد شرع لك هذا الصبر لأن الصبر يرجع هذه السهام التي تخرج من هذا الساحر، ومن هذا الحاسد ومن هذا الشيطان يرجعها وترد على هذا الكائد لك ترجع عليه بفضل من الله وبعون من الله سبحانه وتعالى، فعلى المسلم ألا يكون ضعيف البصيرة، لا ينظر لهذه المعاني الدقيقة التي بينها رب العالمين سبحانه وتعالى بل عليه أن يكون صبوراً ومتيقناً بالله سبحانه وتعالى أن هذا الصبر عاقبته حميدة ومن صبر ظفر كما قيل.

السبب الرابع: التوكل على الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاق ٣] ، فربك سبحانه وتعالى كافيك، وهو ناصرك سبحانه وتعالى وهو معينك وهو مغيثك سبحانه وتعالى، وهو الذي يقيك من هذه الشرور وهذه الآفات، فكن مستوثقاً متيقناً من وعد الله سبحانه وتعالى.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال بهذا العدو والتفكير فيه، بل أشغل قلبك بمحبة الله سبحانه وتعالى، أشغل قلبك بما فيه النفع والصلاح لك، ولا تشغل قلبك بالتفكير في هذا العدو وبالالتفات إليه وبأنه كذا وكذا، بل كن واثقاً من وعد الله عز وجل وأن الساحر لا يفلح، وهذا الذي قد أراد إيذائك لا يفلح حيث أتى، فإنما الله سبحانه وتعالى قد وعدك، وأمرك بأن تصبر وتتوكل على الله وأن يكون هذا

القلب منشغلا بالله سبحانه وتعالى، منشغلا بما فيه النفع والصلاح له، والله سبحانه وتعالى هو ناصرك وهو الذي بعونه وبفضله سبحانه وتعالى هو الذي يكفيك هذه الشرور.

السبب السادس: الإقبال على الله والإخلاص له سبحانه وتعالى، فلا ترض لنفسك أن يكون قلبك منشغلا بهذا الذي قد قام بهذه الأضرار لك وبهذا الإيذاء لك، بل علق قلبك بالله سبحانه وتعالى، واجعل محبة الله سبحانه وتعالى هي التي تعمر قلبك واجعل اليقين هو الذي يعمر هذا القلب كما سبق في النقطة السابقة، فهذا القلب ينبغي أن يكون فارغا من الانشغال بهذا العدو مليئا بمحبة الله سبحانه وتعالى، مليئا بالإقبال على الله عز وجل، كما قال الله سبحانه وتعالى حينما قال إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص ٨٢] ماذا قال الله؟ قال الله عز وجل مبينا هذا الأمر قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص ٨٣] لما قال هذا الأمر قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر ٤٢] فالمؤمن المخلص لله سبحانه وتعالى لا يسلط عليه هذا العدو، وإن سلط عليه فبسبب التفاته في شيء من الأمور إلى هذا العدو فارجع إلى ربك، واستعن بالله ولا تعجز وكن قوي القلب مستعينا بالله واثقا من وعد الله عز وجل: ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرؤم ٦٠] فلا يلتفت المسلم إلى مثل هذه الأمور التي فيها الإضعاف لقلبه، وفيها من ضعف اليقين وضعف التوكل على الله، بل عليه أن يكون قوي القلب متعلقا بالله سبحانه وتعالى كما قال الله عز وجل عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف ٢٤] فالإخلاص لله سبحانه وتعالى يصرف عنك السوء، ويصرف عنك الشرور والآفات.

السبب السابع: تجريد التوبة لله عز وجل من الذنوب التي سلط هذا العدو عليك بسبب هذه الذنوب ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى ٣٠] ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران ١٦٥] فعلى المسلم أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى، ولا

يترك هذه الذنوب التي تجعله فريسة سهلة لهذا العدو الذي يريد التسلط عليك ويريد إيذاءك.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان، الإحسان بقدر ما تستطيع أن تكون محسناً فالحمد لله سبحانه وتعالى يجازيك بهذا الإحسان أضعافاً مضاعفة، ومهما تسلط هذا العدو عليك فإن المحسن يضعف تسلط هذا العدو عليه، فما يكاد صاحب العين أو الحسد أو الذي يريد إيذاءك يتسلط على محسن متصدق كما قال أهل العلم؛ لأن الإحسان لا يأتي لك إلا بإحسان مثله، فالمحسن والمتصدق إنما هو في رعاية الله، وفي كنف الله سبحانه وتعالى، هذا الإحسان جعل له الوقاية وجعل له جنة وكأنه في حصن بل هو في حصن حصين من هذه الشرور وهذه الآفات.

السبب التاسع: وهو كما قال ابن القيم من أصعب هذه الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً ازدادت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٤] وهذا كما قال الإمام ابن القيم هو من أصعب الأسباب، لذلك كان هذا الذي يقوم به صاحب قامات عالية عند الله عز وجل، وتأمل حال النبي صلى الله عليه وسلم حينما آذاه قومه وأدموه ماذا قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [6] واجه هذا العدوان وهذا البغي وهذا الأذى بأي شيء؟ بالإحسان إليهم، فالله سبحانه وتعالى يكون لعبده كما يكون العبد مع الناس، وتأمل هذا الأمر وتذكر أن هذا مقام عظيم إذا تأمله الإنسان واستذكره فإنه ينال به المقامات العظيمة عند الله عز وجل، وتدفع عنه من الشرور والآفات بقدر إحسانه إلى هذا الذي آذاه، والجزاء من جنس العمل كما يقول أهل العلم.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله وهو ماذا؟ تجريد التوحيد لله عز وجل بأن يكون هذا القلب فيه من

التوحيد لله سبحانه وتعالى، لذلك من الأدعية التي أمرنا وحثنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن نقولها حين يصاب الإنسان بهم أو هم أو كرب أو نحو ذلك يقول: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً، فيه من التوحيد واليقين بالله سبحانه وتعالى أن هذا التوحيد يصرف عنك بفضل من الله يصرف عنك هذه الشرور وهذه الآفات:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس ١٠٧] والنبي صلى الله عليه وسلم قد بين فيما قاله صلى الله عليه وسلم: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» [7]، فعلى المسلم أن يعظم جانب التوحيد وينتبه لهذا الأمر، ومما ينبغي على المسلم أن يستحضره في هذا الأمر هو أن يقوي جانب علمه بتوحيد الله عز وجل، ويكون مطلعاً على ما جاء في كتب التوحيد التي كتبها أهل العلم، ويطلع على شيء مما ذكره أهل العلم في هذا الجانب، وهو ما فيه بيان عقيدة أهل السنة لأن جانب التوحيد جانب عظيم، يجعل قلبك قلباً قوياً متيقناً سبحانه وتعالى، واثقاً بما أمرك به الله عز وجل واثقاً من نصر الله وإعانتة، مستحضراً لعظمة الله متيقناً من ضعف عدوك، وأن الساحر وهذا المؤذي الذي يريد إيذاءك لا يفلح الساحر حيث أتى، فهذا الجانب وهو جانب التوحيد ينبغي على المسلم أن لا يغفله، ولا يهمله بل عليه أن يكون قوياً في جانب التوحيد مطلعاً على ما كتبه أهل العلم، وقاموا مثلاً بشرحه أو نحو ذلك من كتب للتوحيد، ككتاب التوحيد للشيخ محمد ابن عبد الوهاب ونحو ذلك من الكتب الجميلة النافعة في هذا الجانب، على المسلم أن يطلع على هذه الكتب ويستمتع للشروحات النافعة التي تكون من أهل العلم الموثوقين أهل السنة الذين شرحوا هذه الكتب وبينوا معانيها الجميلة العظيمة، عليك أيها المبتلى وأيتها المرأة التي قد ابتلاك الله عز وجل بشيء من هذه الأمور بالأسحار أو من الحسد أو الأذى أو نحو ذلك، عليك أن تقوي جانب التوحيد وذلك بتعلم هذه العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا يكون تلقيها إلا على أيدي العلماء المعروفين الذين قد عرفوا بهذا الجانب، وهو جانب الاستقامة في العقيدة والاستقامة في المنهج ونحو ذلك.

فهذه الأسباب العشر بينها أهل العلم حتى تكون فيها بإذن الله وقاية للمسلم من هذه الشرور وهذه الآفات.

نختتم كلامنا معاشر الأفاضل بأسباب أو بأمور نافعة، وبأسباب يستطيع المسلم في يومه وليلته أن يقوم بها حتى يحصل له اندفاع هذه الشرور، وتكون له كالحرز من هذه الشرور وهذه الآفات، من هذه الأمور النافعة كما سبق أن ذكرنا: الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى، هذا الأمر الأول، والاستعاذة بالله سبحانه وتعالى تجعلك بعيداً عن هذه الشرور فهي إذا هذه التي يسميها أهل العلم الحرز الشرعي الذي يكون من المسلم في يومه وليلته حتى يحصن نفسه من هذه الشرور وهذه الآفات، فالأمر الأول هو الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى.

الثاني: قراءة المعوذات لا سيما سورة الفلق وسورة الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما تعوذ الناس بأفضل منهما» [8] ((فقراءة المعوذات كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها مع سورة الإخلاص في كل ليلة عند النوم، وكذلك في دبر كل صلاة فهي من الأمور التي تقيك في يومك وليلتك من هذه الشرور.

الأمر الثالث: قراءة آية الكرسي، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة التي دلت على فضل هذه الآية آية الكرسي، وهي أنها تجعل المسلم في حصن حصين من الشيطان ومن هذه الشرور والآفات.

الأمر الرابع: قراءة سورة البقرة، فالبیت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله شيطان، فعلى المسلم أن يكون حريصاً على قراءة سورة البقرة، أو كذلك الاستماع إليها في بيته حتى يبعد الشرور والآفات وشر الشياطين والسحرة وشر الحاسدين عن بيته وعن أسرته.

الأمر الخامس: خواتيم سورة البقرة، ﴿عَافَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ» [9] ((فهي تكفيه من كل سوء ومن كل شر.

الأمر السادس: قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة في اليوم واللييلة، فهذه الأمور وهذه الأذكار التي يأتي بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كانت له حرزا من الشيطان يومه ذاك حتى يمسي ^[10]، فالنبي صلى الله عليه وسلم بين لك أن هذه حرز لك من الشيطان ومن أثره ومن ضرره عليك.

الأمر السابع: كثرة ذكر الله عز وجل، فكلما كان المرء كثير الذكر لله كلما كان الشيطان وشره أبعد عنه هذا.

الأمر الثامن: الوضوء والصلاة فكلما كان الإنسان على وضوء وعلى صلاة كان الشيطان منه أبعد لذلك حث النبي عليه وسلم الغاضب أن يتوضأ حتى يبعد الشيطان عنه.

الأمر التاسع: إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فضول النظر وفضول الكلام وفضول الطعام وكثرة الخلطة للناس التي لا داعي لها إن كانت الخلطة نافعة للإنسان كحضور مجالس العلم والمجالس الطيبة وزيارة الأرحام ونحو ذلك، هذه المخالطة طيبة لكن المخالطة التي فيها ضرر أعظم أو فيها من الضرر ما يكون مما يحصل من الناس من الخلطة التي تحصل مثلا في أمور تغضب الله سبحانه وتعالى، كما يكون مثلا من بعض الناس في شيء من الحفلات أو الأعراس أو نحو ذلك مما فيه من المنكرات، ثم يصيب الواحد منهم ما يصيبه وخاصة جانب النساء ما يصيبها من عين أو شر، فأنت قد عرضت نفسك لهذه الأذية وعرضت نفسك لمثل هذه الشرور والآفات، فكثرة الخلطة التي تجلب الضرر للإنسان وفيها من معصية الله عز وجل ما فيها أنت قد تسببت على نفسك بأن تكون فريسة سهلة لهؤلاء المؤذنين وهؤلاء السحرة وهؤلاء الشياطين، فعلى المسلم أن يكون قريبا من ربه سبحانه وتعالى قريبا من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، بعيدا كل البعد عما يغضب الله، بعيدا كل البعد عما فيه نهي من ربك سبحانه وتعالى ومن نبيك صلى الله عليه وسلم عن هذه الآفات وهذه الشرور وهذه المسالك الخطرة، كن متحصنا بربك سبحانه وتعالى وبما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفلح

وتربح.

هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[1] رواه مسلم (2865).

[2] رواه البخاري (7274)، ومسلم (152).

[3] رواه مسلم (2230).

[4] رواه أحمد (9536)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (3387).

[5] رواه الترمذي (2516).

[6] رواه البخاري (3477)، ومسلم (1792).

[7] رواه الترمذي (2516).

[8] رواه النسائي (5429).

[9] رواه البخاري (4008)، ومسلم (808).

[10] رواه البخاري (3293)، ومسلم (2691).

المصدر:

://.../624

جميع الحقوق محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

صفحات المشايخ على الموقع

- أحمد بن محمد الشحي (168)
- إبراهيم بن عبد الله المزروعى (8049)
- حامد بن خميس الجنيبي (2182)
- د. أحمد بن مبارك المزروعى (5965)
- د. خالد بن حمد الزعابي (1248)
- د. سعيد بن سالم الدرمني (2462)

صفحات المشايخ على الموقع

- د. عبدالرحمن بن سلمان الحمادي (621)
- د. علي بن سلمان الحمادي (493)
- د. محمد بن غالب العمري (3868)
- د. محمد بن غيث غيث (3620)
- د. هشام بن خليل الحوسني (1983)
- يوسف بن حسن الحمادي (2229)

تطبيقاتنا

تطبيق القرآن المبين 3 2 1

تطبيق إذاعة بينونة 2 1

تطبيق مكتبة بينونة 21

تطبيق شبكة بينونة 21

لعبة كنوز العلم 21

تواصل معنا

الرؤية

كلمة المشرف

اتصل بنا